والده رأى جثته ممزقة.. جدته تغمض عينيها.. والعمة تبكي بصمت: خمسة من اولادها قتلوا في حرب 56

الفتى محمد دفن مرتين في «حديقة اسرائيل المغلقة» التي خلفت الدمار وعشرات القتلى

■ تعرف عبدالله الزق على جثة ابنه بحسب الحزام، وبدا له النعلان والجوربان معروفين، وهي أدلة قاطعة على أنه فقد ابنه. في غرفة الموتى في مشفى الشفاء، بعد ساعات من البحث، أدرك أنه وجد جثة ابنه. أو على الاقل الجزء السفلي منه.

في اليوم التالي، عندما انتهت عملية «حديقة مغلقة» وخرج الجيش الاسرائيلي من حي الشجاعية في غزة، مخلفا وراءه 22 قتيلا ودمارا كثيرا، وجدت اجزاء الجثة الاخرى. دفن محمد مرتين، وكان في الـ14 وأربعة اشهر عند موته. قتل في الاسبوع الماضي، قبل ثلاثة أيام من بدء السنة الدراسية، ولن يرفع الى الصف التاسع.

فكر مخططو هذه العملية في الاولاد الذين سيقتلون، قبل أن يمنحوها الاسم اللعين «حديقة مغلقة»؟ هل عرف مشغلو حاسوب الجيش الاسرائيلي الذي يصدر الاسماء، انه سيكون بين قتلى العملية خمسة أولاد وفتيان؟

نتائج «حديقة مغلقة» في حي الشجاعية شرقي مدينة غزة ملحوظة. احتل حي سكني كبير مكتظ اسبوعا تقريبا على أيدي الجيش الاسرائيلي الذي زرع فيه الدمار والخراب. حفرت الشوارع، واصيبت البيوت، واقتلعت ارصفة الشوارع، وحطمت أعمدة الكهرباء، وسحقت السيارات، وديست عشرات الاشجار وقتل 22 ساكنا. في خلال ما يقرب من اسبوع عاش عشرات الاف السكان في خوف، ولم يستطع بعضهم الخروج من بيوتهم.

يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: عمل الجيش الاسرائيلي في حي الشجاعية كجزء من العمليات العامة لخلق ظروف لاعادة جلعاد شليط، وباضرار بالبنى التحتية للارهاب واطلاق صواريخ القسام. في اثناء العمليات تم الكشف عن نفق حفر من الشجاعية نحو معبر كارني. هذا النفق جزء من تهديد الانفاق الذي يضر يوميا بالنقل السوي للبضائع. يقوم الجيش الاسرائيلي بكل ما يستطيع للامتناع عن اصابة غير المشاركين وهو لا يقصد ذلك على اية حال.

عبدالله الزق هو الان اب ثاكل رأى جثة ابنه ممزقة مقطعة. انه يبكي ابنه وقد جرب المعاناة والنضال، مع سنين طويلة في السجن الاسرائيلي وكان من مبعدي حماس الى لبنان ويبدو أنه نشيط في الجهاد الاسلامي. عُلقت على الجدار في بيت الحداد، الذي دمره الجيش الاسرائيلي في 1971 صورة محمد بجانب صورة ابن عمه الذي قتل قبل أربع سنين. علقت أيضا صور الابناء الاخرين الذين قتلوا في «حديقة مغلقة»، مع محمد. عندما مضى أولاد الشجاعية هذا الاسبوع الى المدارس، مع بدء السنة الدراسية، وهم يحملون حقائبهم ومخاوف الاسبوع الماضي، بقي عدد من المقاعد فارغة في الصفوف. لن يأتي الاولاد.

حديقة الحيوان في غزة ايضا مغلقة. وهي حديقة جديدة بنتها فرنسا، ويوجد مثال عند المدخل لبرج ايفل، يقف ساكنا، ولبؤة مفردة في قفص ضيق. الدخول يكلف شاقلين للولد وثلاثة شواقل للبالغ والحديقة مغلقة.

في حي عبد ربه يخرج السكان خائفين من بيوتهم لرؤية اضرار الليل، والبيارات المقتلعة. غزت الدبابات هذا المكان عند خروج السبت الماضي. يعمل في الشجاعية تقنيو كهرباء وهاتف لاصلاح اضرار «حديقة مغلقة» ويعود الفلاحون الى اراضيهم المدمرة، يحاولون انقاذ ما يمكن. يوقفنا احد السابلة ويصرخ صراخا عاليا معاديا لاسرائيل واوروبا التي تؤيدها. الشعور بالمرارة كبير ههنا. بقرب بيت سكني علقت سيارة اجرة صفراء في الارض. في المنطقة الصناعية بقرب معبر كارني المجاور، تقف حاويات من كوبنهاغن انتجت في الصين وهي مثقوبة ممزقة من المعارك.

في بيت معزول في ضاحية الشجاعية قتلت قبل نحو شهرين ونصف شهر عائلة آمنة الحاج، وهي في الخامسة والاربعين مع ابنها محمد، ابن الثالثة والعشرين، وابنتها، روان، ابنة السادسة. اجتمعت العائلة تحت الكرمة والتينة في الساحة في ساعة المساء لشي أكواز ذرة على الكانون الصغير وعندها قصف البيت ثلاث مرات. لم تعد عائلة الحاج تسكن ههنا، ويأتي ابنها ياسر وهو فتى وسيم في السابعة عشرة، في كل يوم ليطعم الكلب الذي يحرس البيت والدجاج في الخم. لقد تركوا البيت بعد كارثتهم على الفور بسبب الخوف: عندما يفتحون الباب الحديدي الذي يؤدي من البيت الى الشارع يظهر على التل في اقصى الافق في الشرق موقع للجيش الاسرائيلي. تشهد عناقيد الغضب بما حدث، فهي معلقة محروقة على الكرمة في الساحة. وما يزال الكانون هنا ايضا. في الشجاعية يحرق الاولاد اسلاك الكهرباء التي استولوا عليها من البيوت التي دمرت لاستخلاص النحاس منها، وهو شيء يفعلونه بعد الدراسة. في كل ركن في الحي توجد الان خيمة حداد. عند مدخل بيت الولد حسام الصرصاوي تجلس جماعة كئيبة من الرجال. مضى الاب الثاكل ليصلي في المسجد وهم غير مستعدين للحديث في غيابه. كان الابن حسام في العاشرة عند موته، وهو من شهداء «حديقة مغلقة».

الجو في الشوارع متوتر، ونظرات المارة تقول كل شيء. يسهل جدا التمييز بين الشوارع التي مر فيها الجيش الاسرائيلي وبين تلك التي صرف دباباته عنها. تقوم دارة صفراء فخمة مهشمة عند ركن الشارع، مثقوبة وشبه مدمرة. ههنا قتل محمد الزق.

بعيدا عن هناك في الساحة تجلس النساء في ملابس حدادهن السوداء، بينهن الام الثكلى عبير، بازاء صور القتلى وآيات القرآن بالالوان السوداء المذهبة للجهاد. أقام محمد الزق بسطة لدى مدخل بيته، لزيادة الدخل من ايام العطلة، وباع يوميا العلكة، والبسكويت، والبطاطا المحمصة لاولاد الحي، وكسب 20 الى 30 شاقلا في اليوم. في يوم الثلاثاء الماضي ايضا بسط بسطته، قبل يومين من انقضاء العطلة الكبيرة.

قريب الحادية عشرة صباحا، كما يشهد ابناء العائلة، ذهب الى امه في الطبقة الثانية ورآها تخبز أرغفة. وبعد ذلك مضى الى المسجد، ليصلي الظهر وعاد الى أمه يطلب سلكا كهربائيا لكي ينظف غبار المسجد. «أما زلت تخبزين الارغفة؟» سأل. عندما عاد من المسجد رأى أن بعضهم قد فتح نافذة القفص وطارت جميع حماماته. جرى وراء حمامة ونجح في اعادتها الى القفص على سطح البيت. بعد ذلك نزل الى شقة جدته وأكل معها الغداء. عندما أنهى ذلك توجه الى الشارع ولم يروه بعد.

مضى محمد نحو شارع المنصورة، وهو الشارع الرئيسي للحي، حيث كانت الدبابات. تقول احدى الروايات انه طُلب اليه أن يمضي الى هناك ليرى ما حال الاعمام الذين يسكنون عند خط النار؛ وتقول رواية اخرى انه مضى ليرى الدبابات وليساعد «المدافعين»، كما يسمونهم في هذه العائلة المقاتلة.

رب العائلة، عبدالله، جرب النضالات. في 1971، وكان في السابعة عشرة، حكمت عليه اسرائيل بالسجن ثلاثين سنة لمخالفات أمنية لا يفصلها. اطلق بعد 14 سنة، في صفقة جبريل 1985. اعتقل بعد ذلك بسنة مرة اخرى وحكم عليه بالسجن أربع سنين. بعد ذلك بثلاث سنين في 1992، طرد الى مرج الزهور في لبنان، مع مبعدي حماس بينهم اسماعيل هنية، وعبدالعزيز الرنتيسي، ومحمود الزهار وسعيد صيام الذين اصبحوا قادة حماس بعد ذلك. بعد نحو سنة اعيد الى غزة وفي سنة 1995 اعتقلته السلطة الفلسطينية. يقول انهم جميعا نسبوا اليه نشاطا في الجهاد الاسلامي، وهو شيء ينكره، انه في الرابعة والخمسين يعمل اليوم في السلطة ضابطا رفيعا مسؤولا عن المقاتلين القدماء. ولد ابناؤه الثمانية وفيهم محمد بين جميع الاعتقالات.

تغمض الجدة عينيها. وتبكي العمة بصمت. تروي ان خمسة من ابناء العائلة قتلوا في حرب 1956، يطلب عبدالله الى النساء ان ينتقلن الى جزء آخر في الساحة. تلحظ عليه علامات الحزن والصدمة حينما يروي قصته. في يوم الثلاثاء الماضي أتت اخته البيت وقالت انه يوجد ولد جريح في المنصورة. اسرع عبدالله الى الشفاء. «بحثت في كل مكان ولم اجد، اعتقدت انه قد يكون موجودا في غرفة الجراحة ولم اجد. كنت احس ان محمد شهيد. اعتقدت انه قد يكون نقل الى مشفى آخر وارسلت اقرباء الى مشفى القدس. لم يجدوه هنالك.

قوي عندي الاحساس بانه شهيد. اعتقدت أنه اذا لم يكن موجودا في المشافي، فانه مطروح في المكان الذي قتل فيه. يصعب جدا الوصول الى هناك لتخليصه. نحن نعلم انه لا يستطيع أحد الاقتراب من اي جريح في هذا المكان لتخليصه. نعلم أن الجيش يطلق النار على كل من يقترب، وعلى المخلصين ايضا. كانت حالات لاناس حاولوا انقاذ جرحى واطلقت عليهم النار.

مع كل ذلك اعتقدت انه في ثلاجة في المشفى. طلبت الى ابناء اعمامي ان يمضوا الى الثلاجة ويفحصوا. طرح هنالك عدد من الشهداء، نظروا اليهم، وعاوا وقالوا انهم لم يجدوا محمد. قوي لدي الاحساس بان محمد شهيد. ولكن لا يوجد اي ابلاغ. فكرت في أن أدخل بنفسي غرفة التبريد لافحص. دخلت ولم أجد محمد. ولكن رأيت آنذاك نصف جثة، كانت الوحيدة التي لم تعرف. رأيت ان هذه نصف جثة محمد. بحسب الحزام. كان حزاما اشتريته له. والحذاء الذي احتذاه. نظرت الى الجرابين وعلمت أنه محمد. كنت مستيقنا انه محمد. اختفى نصف الجثة الاعلى. اقتنعت آخر الامر ان هذا محمد.

«قتل محمد بقذيفتين اطلقتهما دبابة، واصابتاه كلتاهما. كان في الرابعة عشرة واربعة اشهر، لم يكن مسلحا ولم يعرف ما السلاح، ورأوا أنه ولد. قد يكون مضى الى هنالك ليرى المدافعين، وربما اراد المشاركة. ربما رمى الدبابة بالحجارة. أطلقوا عليه قذيفة. هذه قصة محمد، وهذه نهاية محمد». دفنوا محمد في اليوم نفسه. في الغد، في يوم الاربعاء الماضي، عندما خرج الجيش الاسرائيلي من المنصورة، مضوا الى مكان القتل للبحث عن نصفه الثاني. وجدوا اجزاء جسمه مع اجزاء جسم يسري ابو جابر، وهو مصور صحافي في شبكة القدس، قتل هنالك ايضا. في يوم الاربعاء دفنوا بقية اعضاء محمد. يقول الاب عبدالله: «كان محمد تلميذا في المدرسة. هذه القصة كلها.

هذا يحدث كل يوم، كل يوم. ايمكن ان يكون ولد كمحمد خطرا عليهم؟ واذا كان خطرا عليهم، ألم يستطيعوا بدل قتله جرحه، او رمي قنبلة غاز؟ حتى لو كان خطرا عليهم، لا يطلقون عليه قذيفة».

يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «لا يعرف الجيش الاسرائيلي اصابة فتى في الرابعة عشرة، الا من نشرات الاخبار، ولا يعرف ظروف اصابته. يجب أن نذكر أنه في اليوم الذي نشرت فيه الانباء دار تبادل نار كثيف اشتمل على اطلاق صواريخ مضادة للدبابات، واستعمال عبوات ناسفة واطلاق من أسلحة خفيفة على قوات الجيش الاسرائيلي».

ابنه الصغير ابراهيم على ركبتيه، يلعب بقلم ويجهش عبدالله بالبكاء من آن لآخر. عبير حامل؛ اذا ولد لهما ابن فسيسميانه محمد. "يجب ان تعلم اسرائيل أن علينا ان نعيش معا. نحن مستعدون لان نعيش في دولة وحدة، لا في دولتين. وان يعود جميع اللاجئين ونعيش جميعا في دولة ديمقراطية، سموها اسرائيل أو فلسطين. انا على ثقة من أننا مستعدون للعيش معا. نحن نشتاق للعيش في ديمقراطية جيدة، وأنا على ثقة من أنكم لن تقبلوا هذا. ولن توافق دولة اسرائيل ايضا على حل دولتين. اسرائيل تريد أكثر فأكثر، واليمين الاسرائيلي يريد ابادتنا. لكن ما الذي تسمعه اسرائيل؟.

في هذا العام لم يشتروا له حقيبة جديدة. رفض محمد ورفض. في مجموعة الصور العائلية يظهر صغيرا متنكرا بزي جندي، في قارب في ماء هائج، مع بندقية لعب بل مع ياسر عرفات، يصافحه زمن زيارته الحي. وفي صورة اخرى يبدو من ورائه صاروخ قسام من الورق المقوى في الاستوديو، وفي آخر صورة، قبل شهر، تظهر العائلة كلها معا في الاستوديو لالتقاط صورة عائلية من أجل شهادة تأمين الصحة.

جدعون ليفي
مختص بحقوق الانسان
(هآرتس) ـ 2006/9/8

صلاة الجنازة في مسجد العودة على شهداء من كتائب الشهيد عز الدين القسام قتلهم القصف الاسرائيلي على رفح يوم الاربعاء

وزير الدفاع عمير بيريتس لن يسمح بتحميله كل اخفاقات حرب لبنان الثانية:

ما زلت مرشحا لرئاسة الوزراء.. وعلينا التوقف عن قطع الرؤوس.. تريدون متهمين؟ حققوا مع باراك وشارون وموفاز

من الواجب الشروع في اجراء اتصالات سريعة مع الجهات الفلسطينية والحوار مع سورية ليس من منطلق الخوف

■ وزير الدفاع عمير بيريتس، لا ينوي لعب دور القربان لأي أحد كان. هو لن يسمح بتحميله كل اخفاقات حرب لبنان الثانية. محاولات اعداد ملف ضده ستواجه شخصا حازما كما يعرف أفضل من غيره.

بيريتس ابتلع الانتقادات خلال فترة طويلة، ورفض الرد عليها. هنا، وفي اول مقابلة له منذ الحرب، سيضع الامور على الطاولة بصورة لا تقبل التأويل: مسؤولية الحرب كما جرت مُلقاة على عاتق كل رؤساء الوزراء ووزراء الدفاع واعضاء المجالس الوزارية الأمنية المصغرة وكل من أدار الدولة خلال السنوات الست الأخيرة. بيريتس لا يشعر أنه قربان، ولكنه يعتقد أن هناك تسامحا غير مفهوم تجاه من كان عليه أن يُعد ويُدرب ويُجهز الجيش مقابل التشدد المفرط تجاهه.

قضية كون وزير الدفاع مدنيا هي مسألة مركزية، ولا شك أن الحرب في داخل حزب العمل تُسهم في ذلك. الجمهور يبحث عن عنوان حتى يوجه اليه مشاعر الخيبة من الحرب، وهذه المسألة تتدحرج الى عتبة عمير بيريتس بصورة طبيعية.

من المذهل أن نرى ما يمكن أن يحدث خلال بضعة اشهر فقط: ثلاثة اشخاص فخورين، مُعتدّين بأنفسهم شاخوا دفعة واحدة. اشخاص كانوا قبل مدة بسيطة في قمة العالم وبدا وكأن شيئا لا يمكنه أن يمس بعلويتهم ومكانتهم الرفيعة. واليوم، بعد شهرين فقط، أصبحوا جرحى وتزعزعت ثقتهم بأنفسهم، ومعنوياتهم هبطت. كل عبارة صدرت عنهم في بداية الحرب أصبحت مثارا للسخرية. قبل شهرين قال بيريتس: نصر الله سيتذكر اسم عمير بيريتس جيدا.

بيريتس هذا ما زال يعتقد أن وزير دفاع مدنياً هو مسألة صحيحة، ذلك لأن كل انسان عاقل يدرك أن الوضع في الشمال لم يبدأ من اليوم. قرار تقليص التدريبات العسكرية اتُخذ من قبل اشخاص ذوي خبرة أمنية كبيرة. ومثلها سياسة غض البصر وتقليص التناسب بين أذرع الجيش المختلفة. سياسة ضبط النفس التي أدت الى تزايد التحريض في الطرف الآخر. هذه السياسة ولدت من الافتراض بامكانية خوض المواجهة بسهولة وسرعة.

بيريتس رفض اعطاء أمثلة عن الخطط العسكرية الخاطئة خلال الحرب، وقلة التجهيزات اللوجستية، الأمر الذي كان يضطره الى الغاء بعض العمليات المعروضة عليه للمصادقة.

■ من المذنب اذن في اخفاقات هذه الحرب؟

● نحن شعب اعتاد على الانتصارات المطلقة. في مثل هذه الحالة يكون الذنب مسؤولية طويلة. كانت هناك نظرية مسبقة امتدت لسنوات، وهي مُلقاة على كاهل من بلوروا هذه السياسات عبر السنين، وليس على من قاموا بتفعيلها. أنا أؤيد كل عملية تقص للحقائق وكل لجنة على أن تعود ست سنوات الى الوراء على أقلّ تقدير من الانسحاب من لبنان، ذلك لانهم لو ردوا بصورة حازمة على عملية الاختطاف الاولى في عام 2000 لما وصلنا الى عملية الاختطاف الأخيرة. أنا أؤيد التحقق من كل شيء. من حسن حظنا أن نقطة الضعف ظهرت الآن، وليس بعد عدة سنوات، وعلينا أن لا ننسى حالة النشوة والغطرسة التي غرقنا فيها في السنوات الأخيرة.

اذا أردتم فهذه رواية وزير الدفاع للحرب. بعد أن تحدث اولمرت عن روايته في خطاباته الأخيرة، وقال حلوتس ما قاله عن الحرب بصورة أقل مباشرة، جاء الآن دور بيريتس، وروايته كعادتها حادة: النظرية المسبقة الجاهزة هي المذنبة في ذلك. التصور هو الذي انهار. لا يوجد سبب يدعو لقيام الدولة بقطع الرؤوس الآن.

هل يتوجب أن يستقيل رئيس هيئة الاركان؟ لا. وماذا عن اولمرت؟ رئيس الوزراء حسب رأي بيريتس، أدى دوره خلال الحرب بشفافية مطلقة، وتعاون مع كل الأطراف ذات العلاقة، والعمل المشترك بينهما كان جيدا، وعموما لا يوجد سبب يدعو رئيس الوزراء للخوف من لجنة تحقيق رسمية، حسب رأي بيريتس. بيريتس لا يعتقد أن الاصوات الداعية لتحميله المسؤولية قد تعالت من محيط اولمرت، ولا من ديوان رئيس هيئة الاركان.

■ من أين تأتي اذن، هل هي من وسائل الاعلام؟

● الصحافة لم تُحسن إلي بالتأكيد، فقد شنت علي حملة شاملة وبصورة جارحة جدا. احيانا أسمع الاصوات وأقول: ايفيت ليبرمان مرشح لوزارة الدفاع؟ هو لا يملك أي شيء باستثناء التحريض لفتح جبهات جديدة، ولكن الجمهور موجود في حالة يرغب فيها في الرد على الحرب، ولكن الظاهرة ستزول مع الوقت.

■ وأنت، ألم تخطىء خلال هذه الحرب؟

● أنا لا أستطيع ذلك، ولكني أقول انني أنا الذي حددت المهمة الاولى المتمثلة بضرب منظومة الصواريخ بعيدة المدى. تأثيري على مجريات المعركة كان ايجابيا، وأنا راضٍ عن الخدمة التي قدمتها لاسرائيل في منصبي هذا.

ثقة بيريتس بنفسه لا تتزعزع ايضا عندما يُسأل عن الايام الأخيرة للحرب. عندما حث على شن العملية البرية الواسعة، بينما كان قرار مجلس الأمن على الأبواب، الستون ساعة التي أصبحت مثارا للخلاف تبدو ضرورية في نظره، تماما مثل الشهر الذي سبقها. هو ايضا لا يرى أي وجه حق في الانتقادات الموجهة لقرار شن الحرب المكثفة بدلا من كسب الوقت في التحضير لها بصورة أفضل.

أنا لا اعتقد أن قرار الشروع في الحرب كان قابلا للتأجيل والتريث، ولو لم نتخذ القرار في حينه لما بدأت الحرب بالمرة، ولوجدنا أنفسنا مع نفس قواعد اللعبة التي سبقتها والتي تنص على أن حزب الله يستطيع أن يفعل كل ما يريده بينما تواصل اسرائيل سياسة غض البصر.

بيريتس ينفي أن يكون تحديده لهدف الوصول الى الليطاني غاية بعينها، ويقول أن ما أراده هو السيطرة على مواقع اطلاق الصواريخ وليس على الارض. هو على قناعة بأن الستين ساعة الأخيرة هي التي تسببت في اخراج قرار مجلس الأمن 1701 الى حيز العلن. إرسال القوات البرية في عملية واسعة هو الذي غير كل الصورة، حسب اعتقاده.

■ ولماذا لم يتم ايقاف العملية بعد صدور قرار مجلس الأمن؟

● مطالب الجيش والوضع على الارض هي التي فرضت ذلك. كما كانت هناك حاجة للتأكد من قبول الحكومة اللبنانية وحزب الله للقرار.

■ هل تتفق مع ما يدعيه جنود الاحتياط بأن المستوى السياسي منع الجيش من الانتصار؟

● الأمر الوحيد الذي أوقفه المستوى السياسي كان قصف البنى التحتية في لبنان.

■ كيف تنظر الى نتيجة هذه الحرب، هل هي انتصار؟ وربما انتصار بالنقاط؟

● أنا أعتقد أن هذه الكلمات ليست واردة في الحرب ضد العصابات. التنظيمات الارهابية تواصل رفع الراية حتى لو بقيت لديها خلية واحدة. لقد حققنا انجازات هامة جدا ستؤدي الى تغيير الوضع في المنطقة على المدى الاستراتيجي. ولكن اذا كان هناك مزاج هابط فهو نابع من عدم اعادة الجنود المخطوفين. هذه المسألة تلقي بظلالها على كل انجازات العملية. وبالنسبة لي ايضا لا يعتبر القرار 1701 مُطبقا طالما لم يرجع المخطوفون.

عمير بيريتس لا ينوي الاستقالة من منصبه، ولم يفكر بذلك خلال الحرب، وهو مزمع على بذل جهوده في وزارة الدفاع.

لا شك أن بيريتس يدرك الوضع الذي وصل اليه بعد الحرب. وهناك اشخاص يعتبرون وضعه ميؤوسا منه، وأنه لن يتمكن من التملص من وضعه حتى لو لم يكن هو من يتحمل المسؤولية. المناهضون له موجودون داخل حزبه وبصورة أكبر من السابق. في السابق كان من حوله ناخبون جدد ومنظمات اجتماعية ويساريون وعرب. واليوم سيجد صعوبة في تجنيدهم لصالحه. وحتى الهستدروت لم تعد الى جانبه بصورة مطلقة. في اوساط الجمهور توجد قلة تتهمه بالمسؤولية عن هذه الحرب، ولكن هناك قطاعات واسعة تعتقد أنه لا يصلح لادارة الحرب القادمة.

ولكن ليس من الممكن المبالغة في الفخ الذي دخل اليه بيريتس: اذا بقي وزيرا للدفاع فسيجد صعوبة في الصعود. ولكن اذا خرج من الحكومة فهو ضائع. منصبه هو الذي يحافظ على مكانته داخل حزبه. يبدو أن الأمر الوحيد الذي يستطيع اخراجه من هذا الوضع المستحيل هو قبوله بوزارة المالية بدلا من الدفاع. ولكن لا يبدو أن اولمرت ينوي اعطاءه ذلك، وأكثر من ذلك: ليس واضحا بتاتا اذا كان بيريتس سيوافق على مغادرة وزارة الدفاع الآن بعد الحرب في الوقت الذي يحاول فيه البعض تسجيل بعض الاخفاقات على اسمه.

هذا هو السبب وراء تأييده لتشكيل لجنة تحقيق رسمية، ذلك لانه يراهن على تغير الانتقادات عندما تتضح الحقائق للجمهور. وهو لا يأسف للحظة لأنه قرر قبول المنصب رغم أنه كان يرغب جدا في أن يصبح وزيرا للمالية.

بيريتس يقول إن الدولة التي لا تملك جدول اعمال سياسيا هي دولة بلا أمل. أنا أعتقد أن من الواجب الشروع في اجراء اتصالات سريعة مع الجهات الفلسطينية بحيث يكون اطلاق سراح جلعاد شليط رافعة لاستئناف العملية السياسية. يتوجب ايضا أن نتحقق من استراتيجيتنا تجاه سورية. موقفي هو أنه عندما يقول زعيم عربي إنه لا يخشى الحرب، فعلينا أن نفهم من ذلك العكس تماما: أنه ربما يدعو الى الشروع في عملية سياسية.

ليس هناك أي سبب للخوف من مقولات كهذه تجاه السوريين. هي لا تُقال من منطلق الخوف أو الضعف. نحن أقوياء بدرجة كافية، ولدينا كل الردود على أية محاولة هجومية من قبلهم. يجب اعتبار المفاوضات المستقبلية معهم امكانية يتوجب اعدادها. هذا يجب أن يحدث بتنسيق كامل مع الامريكيين، وبالطبع في ظل تغيير الأجواء في الدولة فقط. وفي كل الاحوال، يتوجب أولاً دفع المفاوضات مع الفلسطينيين والبدء في تغيير الأجواء في الشرق الاوسط. حقيقة أن خطة الانطواء قد شُطبت تُعيد عملية المفاوضات الى أفضليتها على الخطوات أحادية الجانب.

■ هل توافق على إدخال ليبرمان الى الائتلاف بعد تغيير جدول الاعمال السياسي؟

● أنا لا أعتقد أن تصريحات ليبرمان تتيح لنا الجلوس معه في ائتلاف واحد. خصوصا تصريحه الأخير الذي يقول فيه انه يريد إضفاء الشرعية على البؤر الاستيطانية غير القانونية. ولكن هو يقول بحذر أنا لا أريد شطب أي أحد وانما أُركز على الخطوط الأساسية للحكومة. وافقنا على أن نكون جزءا من الحكومة انطلاقا من ادراكنا بأن المفاوضات أفضل من الخطوات أحادية الجانب. الاطار القائم ما زال صحيحا، ولا يوجد سبب لاضعاف الائتلاف.

■ وماذا عن الليكود؟

● أنا لا أريد استبعاد أي طرف منتخب ديمقراطيا.

ليس من الممكن المس بالضعفاء

حرب بيريتس القادمة ستكون حول الموضوع الاقتصادي. بيريتس يُصر على أن حزب العمل لن يتخلى عن راياته الاجتماعية، رغم القرارات الاقتصادية الصعبة التي اتخذتها المالية، وتجميد المرحلة الثانية من قرار رفع أجور الحد الأدنى، ومن الممكن البرهنة على ذلك حسب قوله.

هم لم يعطوني ساعة تسامح واحدة، هذا مؤلم جدا لأنني كنت أتوقع من رفاقي تحديدا في الساعات العصيبة للدولة أن يكونوا أكثر ضبطا للنفس. سلوكهم في الآونة الأخيرة ينطوي على انعدام الشعور بالمسؤولية، ليس نحوي فقط وانما نحو الحزب والقضايا الوطنية عموما.

■ هل تأسف على الاشخاص الذين جلبتهم الى الحرب وأصبحوا الآن كابوسا في حياتك من أمثال بارفرمان؟

● أنا اعتقد أن أفيشاي بارفرمان يستطيع أن يخدم الحزب كثيرا، ولكنه يتحرك الآن بدافع الغضب الشخصي الذي يدفعه الى تبديد طاقته على الخلافات والنزاعات، وهذه ستكون ضربة مرتدة ضده، حسب اعتقادي.

■ هل الأنباء التي تتحدث عن وجود اتصالات بينك وبين باراك من اجل بناء محور مشترك صحيحة؟

● لم تجر بيني وبين باراك أي اتصالات.

■ أما زلت ترى نفسك مرشحا لرئاسة الوزراء على خلفية علاقاتك الصعبة داخل الحزب وتحطم مكانتك الجماهيرية؟

● بالتأكيد، اليوم أكثر من السابق. بعد العاصفة الكبرى التي مررت بها في الفترة الأخيرة وواجهت معضلات معقدة بالنسبة لدولة اسرائيل، أصبحت رؤيتي للأمور أكثر وضوحا. أنا قادر أكثر من الآخرين على توقع المخاطر التي قد تصيب دولة اسرائيل. اليوم تعزز رأيي ايضا بأن اسرائيل لا تستطيع أن تتملص من الجمع بين الراية الأمنية والراية الاجتماعية. عوامل المناعة الوطنية تشمل في داخلها قيمة الانسان، الثروة البشرية، والقدرة الردعية والأمل بالسلام. أنا أرى نفسي كمن سيقود حزب العمل لاخراجه من الازمة واعداده للمنافسة كبديل للحكم.

■ ما تقوله في الواقع هو ان هذه الحرب الصعبة تحديدا، والتي قال 3 في المائة من الجمهور في الاستطلاعات التي نشرت هنا قبل اسبوعين فقط انهم يعتبرونك ملائما لمنصب وزير الدفاع، و1 في المائة يرونك مرشحا لرئاسة الوزراء ـ هذه الحرب بالتحديد حولتك الى شخص أكثر جدارة لرئاسة الوزراء؟

● نتائج الحرب لم تترسخ في الوعي القومي بعد، ولكن بسبب النواقص تحديدا أعرف اليوم أين يتوجب علي أن أُركز، والوعي عندي قد نضج بعد الحرب. وأنا اعتقد أننا بحاجة الى المزيد من الوقت حتى يتمكن الناس من استيعاب ما حدث.

■ هيا بنا نقوم بتدريب ولنسأل كيف كنت ستبيع نفسك للجمهور لو كنت اليوم مرشحا لرئاسة الحكومة؟

● كنت سأبيع الحقيقة كما هي. أصف المصاعب والمعطيات التي سأواجهها والصعوبات التي مررت بها كوزير للدفاع، وأقول الحقيقة فقط وأؤكد أنني ما زلت متمسكا بقناعاتي الاجتماعية، وأنني قبلت المنصب من خلال الشعور بالمسؤولية الوطنية، وأنني أنوي الآن البرهنة على أن الجمع بين الأمن والرؤية الاجتماعية والمدنية هو الأمر الصحيح.

سيما كدمون
(يديعوت احرونوت) ـ 2006/9/8

اسرائيل فشلت بسبب استراتيجيتها القديمة.. وحرب لبنان الثانية هي «فيتنام» اسرائيل

■ قائمة الاخفاقات التي تكشفت في حرب لبنان الثانية طويلة حقا، ولكن جوهر الفشل في المعركة يكمن في الانحلال الذي شهدته التصورات الاسرائيلية للقوة العسكرية وكيفية استخدامها. مستوى الانحلال الاول نابع من الاعتقاد الذي ساد خلال العقد الأخير بأن احتمالية اندلاع الحرب مع الدول المحاذية لاسرائيل في الدائرة الاولى، متدنية، وأن التهديد الجوهري يأتي من الدول الواقعة في الدائرة الثانية مثل ايران، ومن الفلسطينيين (الدائرة الداخلية). من هنا تبين أن عمليات التدريب وتخصيص الموارد والاعتمادات قد تركزت على الدائرتين الداخلية والدائرة الثانية. فرق أُغلقت وبرامج تسلح أُلغيت وجهاز الاحتياط لم يخضع للتدريب استعدادا لامكانية اندلاع حرب في الدائرة الاولى.

مستوى الانحلال الثاني نبع من الاعتقاد بأنه اذا اندلعت الحرب في الدائرة الاولى رغم ذلك، فان اسرائيل ستكون معنية بابقاء الوضع القائم وعدم التسبب في تغيير. لذلك ادُعي أنه يكفينا كبح العدو بواسطة نيران دقيقة (قصف مدفعي وجوي)، وأنه لا توجد أهمية للمناطق البرية وللتدريبات الارضية في عمق العدو.

تفضيل النار على حساب المناورة والمناطق البرية يظهر في التقرير الذي قدمته لجنة من قبل وزير الدفاع برئاسة دان مريدور، والتي قامت بدراسة الرؤية الأمنية الاسرائيلية. ولكن الأمن هو مصطلح مأخوذ من عالم القتال، وهو امتداد للسياسة بوسائل اخرى واحيانا يهدف الى فرض التغيير أو إملاء النتائج السياسية. منْ يهتم فقط بتدمير دبابات العدو التي تقترب من حدوده، انما يركز على حماية الدولة وليس على أمنها. تصور لجنة مريدور يتنازل في الواقع عن أخذ زمام المبادرة لتحقيق أي هدف كان. ولكن هناك شك إن كانت المعركة القائمة على استخدام النيران ستدفع الخصم الى فقدان توازنه والشعور بالهزيمة، بحيث يطلب وقف اطلاق النار أو الاستسلام.

مستوى الانحلال الثالث كان التبني الحماسي جدا لأفكار «العمليات الموجهة النتيجة» التي يتبناها الجيش الامريكي. هدف هذه الأفكار هو شل الخصم وليس ابادته من خلال ضرب قياداته ووسائل اتصالاته وبعض مواقعه المركزية. ذروة هذه النظرية برزت في ضربة الصدمة الرهيبة التي وجهتها الولايات المتحدة في بداية معركة اجتياح العراق في 2003. ولكن الجيش الامريكي استخدم تلك الأفكار كاعداد للتمرينات البرية في مواجهة الجيش العراقي، وليس كبديل له. أضف على ذلك أن الامريكيين حتى اعتقدوا أن هناك ثلاثة شروط أساسية لاستخدام هذه الأفكار: الاول، أن العدو مبني كجهاز، والثاني، أن لهذا الجهاز مفترقات حاسمة مثل مراكز اتصال وامدادات، والثالث، أن جهاز العدو ومواقعه المركزية الحاسمة معروفة جيدا للطرف المهاجم.

تلك الأفكار أدت الى وقوع البعض في أوهام امكانية الانتصار في الحرب من خلال استخدام النيران الدقيقة فقط من دون دماء ودموع وعرق. ولكن الحرب جرت، خلافا للتوقعات، في الدائرة الاولى، واسرائيل طلبت بواسطتها إحداث تغيير، وقد جرت ضد قوات عصابات ليست لها منظومة واضحة ومواقع مركزية.

في عملية «تغيير الاتجاه» تحركت اسرائيل من خلال فكرتين أساسيتين. الاولى كانت أنه يتوجب خوض المعركة ضد دولة لبنان حتى تقوم بتفكيك حزب الله من اجل اسرائيل. ولكن اتضح الأمر الذي كان على اسرائيل أن تعرفه مسبقا أنه حتى لو كانت لدى حكومة لبنان مثل هذه الدافعية، فانها لا تملك القدرة السياسية على التصادم مع حزب الله، ومع راعيتيه ايران وسورية. لذلك كان من الممكن أن يؤدي الضغط على حكومة السنيورة الى انفراطها وإلحاق الضرر بمصالح اسرائيل بترسيخ الديمقراطية المؤيدة للغرب في لبنان.

كانت لدى السنيورة وغيره من القادة السنة في لبنان دافعية لاضعاف حزب الله من قبل اندلاع الحرب، إثر مقتل رفيق الحريري وانتفاضة الأرز. ولكن هذه الأطراف استنفدت قواها السياسية، بل واضطرت الى التعاون مع حزب الله والحكومة التي شكلتها. من هنا، وبسبب التحفظ من استخدام القوة ضد دولة لبنان من قبل حلفائها والدول العربية المعتدلة، تخلت اسرائيل تدريجيا عن فكرة ضرب لبنان كدولة، وإن لم تصرح بذلك رسميا.

الفكرة الحربية الثانية التي تبنتها اسرائيل هي خوض معركة قليلة الاحتكاك، وكثيرة النيران الدقيقة ضد حزب الله، إلا أن حزب الله كان يملك تركيبة مشتتة، وعناصره كانت تتحرك بصورة شبه ذاتية من دون حاجة الى تحريك القوات والإمدادات. قوات حزب الله وإمداداته كانت موزعة على الارض داخل التجمعات السكانية وفي المخابىء السرية، الأمر الذي أفشل التوجه الاسرائيلي.

للوهلة الاولى يبدو أن المعرك